أساليب النفاق عند اليهود في القرآن الكريم
دراسة سياقية

الكلمات المفتاحية : النفاق ، اليهود ، القرآن الكريم

د. إبراهيم محمد مصلح
المديرية العامة لتربية الانبار
aabrraah2019@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث الى ابراز التنوع في اسلوب النفاق اليهودي ، الوارد في القرآن الكريم ، من الناحية اللغوية (دِلالياً) ، فالكثير قد كتبوا عن ذلك التنوع لكن ليس من جانب اللغة ، فحاولت أن ابرز انواع هذا الاسلوب من خلال الايات القرآنية التي حملته ، وتصدت له في مواضع كثيرة من القرآن الكريم .

فعداء اليهود للمسلمين لم يكن مكشوفاً ، مما يجعل خطرهم اكبرُ من خطر المشركين ، فآخذوا ينفثون سم نفاقهم في المدينة ، وهذا الشيء ليس بالجديد على اليهود ، فالنفاق :صفة ملازمة لهم في كل العهود والازمنة ، وقد اشربته قلوبهم على تعاقب القرون والاجيال ، فاصبح وكأنهُ سليقة مكتسبة .

فاقول : أنَ هذه الانواع من اسلوب النفاق اليهودي ، والتي كشف القرآن الكريم طبيعتها ، كافياً لأن يحذرهم المسلم ، ولا يجلس معهم ، ولا يصدقهم ، على مر السنين والازمان ، الى يومنا هذا . ففي ذلك ذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ، والذكرى تنفع المؤمنين . والله الموفق الى سواء السبيل .

المقدمة

الحمد لله القائل ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا)) (المائدة : ٣) والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين الرسول الأميّ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين . وبعد :

الإسلام آخر الأديان السماوية وإليه انتهت كل الأديان فمن الطبيعي أن يكون له أعداء يحاولون تشويهه وإبرازه بصورة لا تليق به ومن هؤلاء الأعداء ((اليهود)) فهم قومٌ مغالطون مخادعون محرِّفون منافقون وقد خدعوا العرب على مر العصور حتى أنهم استضعفوهم وأفقدوهم القدرة على النظر والبحث والتركيز.

فأردت أن أقدم للقارئ الكريم شيئاً مما ورد في كتاب الله عز وجل عن الشخصية المتمثلة باليهودية ألا وهو ((أسلوب النفاق اليهودي في القرآن الكريم))، حيث اتخذ اليهود منه أساليب متنوعة من خلال ما عرضها القرآن الكريم وبينها للناس في مواضع عديدة حيث تركز البحث على سبعة أساليب تضمن كل أسلوب شيء من خداع اليهود للمسلمين، والتي كان القرآن الكريم لها بالمرصاد فالفساد والانحراف والكفر والضلالة والنفاق دلت على أن اليهود لا دين لهم ولا عقيدة ولا أخلاق ولا إنسانية فهم أعداء للإسلام وخطرهم مدمر في كل وقت وحين .

فوجدت في نفسي الرغبة في أن أدرس هذا الأسلوب دراسة دلالية لكي يعلم القارئ الكريم الخفايا والأسرار التي تكمن في المفردات اللغوية التي عبر بها القرآن الكريم في كل اسلوب والقصد من ذلك كله هو الذكرى وليس لملء الفراغ فالذكرى تنفع المؤمنين، فالكثير من قبلي قد تطرقوا إلى تلك الأساليب لكن من نواحي أخرى بعيدة عن ناحية اللغة (الدلالة) وهذا ما وضعني أمام كثير من الصعوبات في عملية التعقب للكلمات في كتب اللغة والنحو والصرف والتفسير والحديث والعلوم لكي ألم بجميع جوانب الدلالة . فقد حاول اليهود بشتى الوسائل والطرق ومنها ((النفاق)) في الجانب الديني والاجتماعي إنهاء الإسلام وأهله لكن ذلك محال مع قدرة الله عز وجل في حفظ هذا الدين ونشره وامتداده في النفوس والأرض واستقراره في القلوب لا الجدران ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (الحجر:٣) .

فهذا وضع المخاوف في ذات الشخصية اليهودية ودفعها إلى ممارسة الأسلوب الذي نحن بصدده فأخذوا يتآمرون مع المنافقين والوثنيين، فمفاسد اليهود الأخلاقية سمات عامة لهم وإنها جينات وراثية ثابتة لكل يهودي في كل زمان ومكان ومنذ ألاف السنين ومصرح بها في التوراة [١]. فاليهودي يستطيع أن يتخلى عن أي شيء إلا عن المفاسد والرذائل الأخلاقية وعدم الاستغناء عن المكر والنفاق والكذب والحقد[٢].

وإنني إذ أقدم هذا الجهد المتواضع للقارئ لأرجو من رب العزة أن يتقبله قبولاً حسناً وان يكون في خدمة المسلمين وخطوة في بلوغ الغاية من الذكرى لعلها تمضي بنا إلى طريق النصر والتمكين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد

النفاق : النفاق في اصل اللغة : مخالفة الظاهر للباطن ، فاذا كان في العقيدة الايمانية فهو نفاق كفر ، والا فهو نفاق في العمل ، او هو : إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب[٣]. فعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة التقى باليهود ومدَّ يدهُ الحانية إليهم وتبادل معهم المودة والصِلاة والطيبة وعقد بينهم وبين المؤمنين معاهدة أمنهم فيها على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وحياتهم وسائر حقوقهم الدينية والمدنية وأبقاهم على محالفاتهم مع بطون الخزرج والأوس واشترط عليهم ألا يغدروا ولا يفجِروا ولا يتجسسوا ولا يعينوا عدواً ولا يمدوا يداً بأذى وأوجب عليهم نصر المؤمنين والاتفاق معهم كحلفاء[٤]، وهذا كله لأجل أن يتعاون اليهود مع الإسلام باعتبارهم أهل الكتاب لهم دين وكتاب ونبي وشريعة وتوحيد على محاربة الوثنية والقضاء عليها، " لكنهم ما كادوا يرون ظهور الإسلام حتى بدأت فتنتهم وبدأ العداء اليهودي ضد المسلمين وخاصة فيما يتعلق بالفكر

الإسلامي فيما يتصل بالتأريخ وتفسير القرآن الكريم "،[٥] وهذه الفتنة وهذا العداء ضد المسلمين كان من خلال ما يسمونه بـ (حرب الأعصاب) والهدف منها هو إضعاف العدو الطرف المقابل وجعله في حالة من الحيرة والتردد والانقسام على نفسه وهي من الأساليب التي كان يلجأ إليها المنافقون بهدف إيقاع الفتنة والاضطراب في قلوب المسلمين[٦]. فالله سبحانه قد بين أثر تلك الحرب في النفوس بقوله تعالى ((سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ))(آل عمران : ١٥١) تقوية معنوية بما يسمى (حرب الأعصاب) مع أن هذا حقيقة بذاته كما قالوا : كنا نسمع كصوت الحصاة على طشت نحاس يدوي في القلوب من شدة الخوف وكان مقابل ذلك السكينة في قلوب المؤمنين[٧]. وكان من مظاهر هذه الحرب الدس بالمشاركة مع المنافقين وقد اهتم القرآن الكريم بها وصورتها الآيات القرآنية أجمل تصوير فاليهود اتخذوا في نفاقهم للمؤمنين أساليب متنوعة تتلاقى مع منافقي المدينة حيناً ومع مشركي قريش حيناً آخر وقد تفردوا بأعمال خاصة بهم وحدهم وهدفهم في ذلك كله الكيد للمسلمين والقضاء على الإسلام بإتباع شتى الطرق والأساليب وإليك أهم الأنواع في أسلوب النفاق:

١-التظاهر بقبول حكم الرسول ﷺ

قال تعالى ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ)) (النساء ٦٠) ، ذكر الواحدي في سبب نزول هذه الآية ((فقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد وقال المنافق بل نأتي كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت فأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ فاختصما إليه فقضى رسول الله ﷺ لليهودي))[٨]، والذي يلمح من

ظاهر الآية أنه يحمل على التوزيع فقوله تعالى ((بما انزل إليك)) يجعل في المنافق ((وما انزل من قبلك)) في اليهودي وكلاهما قد شمل في ضمير ((يزعمون))[٩].

فالآية بدأت بالاستفهام الذي هو تعجيب من الله سبحانه وتعالى إلى النبي محمدﷺ من حال الذين يدعون الإيمان بالقرآن وبما انزل من قبله ((التوراة)) ثم يسير الحديث في الآية الكريمة فنقف عند كلمة ((يزعمون)) و ((زعم)) من أخوات ظنَّ التي تدل على الرجحان وليس اليقين[١٠]، جاء في لسان العرب ((قال الليث: سمعت أهل العربية يقولون إذا قيل ذكر فلان كذا وكذا فإنما يقال ذلك لأمر يُستيقنُ أنه حق وإذا شُكَّ فيه فلم يُدْرَ لعلهُ كذب أو باطل قيل زَعَمَ))[١١]. و هذا الأسلوب من النفاق يتبعهُ اليهودي لكي ينفي التهمة عنه وإلحاق العقوبة بخصمه وبخاصة حين يعتقد أن العدل معه في قضيته وهو بذلك يحمل الحقد واللؤم والمكر والخديعة والكذب والزعم قد يستعمل بمعنى القول الصادق المحقق أو القول الكاذب وهو المراد بالآية بالاتفاق أو بمعنى الحق أو الباطل بحسب مناسبة المقام وأكثر ما يستعمل في الشك[١٢] ((يقال ناقة زعوم للتي سَمِنَتْ والتي لم تَسْمَن قال أبو حاتم إنما اعرف الزعوم التي يشك في سِمنِها ولا يدرى أسَمِنَتْ أم لم تَسْمَن؟))[١٣]، وعندما نكمل حديث ابن عباس نجد أن اليهودي والمنافق قد ذهبا إلى عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن قضى الرسول ﷺ لليهودي بناءً على طلب المنافق فوافقه اليهودي فقال اليهودي لسيدنا عمر ﷺ قد تحاكمنا إلى رسول الله ﷺ فلم يرضَ بقضائه فقال عمر للمنافق : أ كذلك؟ قال : نعم فقتله عمر ﷺ وقال هكذا اقضي لمن لم يرضَ بقضاء الله ورسوله وهربَ اليهودي[١٤]. فهنا من الصعب جداً إيراد حسن الظن بهذا اليهودي الذي هرب من وجه سيدنا عمر ﷺ ولا باعتقاده بعدالة الإسلام فلو كان ذلك في حسن نيةٍ لما ذهب مع المنافق إلى سيدنا عمر ﷺ وشاركه لأنه يعرف أن سيدنا عمرﷺ لا يقضي بما حكم فيه رسول الله ولو كان إيمانهم صحيحاً لما طلبوا

أن يتحاكموا إلى كعب بن الأشرف المعبر عنه بالطاغوت ،[١٥]والارتضاء بحكمهِ قال تعالى: ((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)) (النساء : ٦٥) يقول أبو السعود، في كتابه : ((ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن وبما انزل من قبله أعني التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم))[١٦].

٢-تشكيك المسلمين بدينهم الإسلام :

فقد حاول اليهود التشكيك بالإسلام وربما كان هذا الأسلوب خاصاً بهم وقد حملوا هذا الأسلوب بأشد المكر وأبلغ الحيل لتشكيك المسلمين بدينهم قال تعالى ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) (آل عمران ٧١ – ٧٢) وقد خاطب عز وجل اليهود بأسلوب النداء مستفهماً عن سبب خلطهم الحقّ بالباطل وعبر عن ذلك بكلمة ((تلبسون)) ولم يقل (تخلطون) فقد ذكر أبو هلال العسكري: ((أنَّ اللبس يستعمل في الأغراض مثل الحقّ والباطل وما يجري مجراها وتقول في الكلام لبس والخلط يستعمل في العرض والجسم فتقول خلطت الأمرين ولبستهما وخلطت النوعين من المتاع ولا يقال لبستهما وحد "اللبْس" منع النفس من إدراك المعنى بما هو كالستر له وقلنا ذلك لأن أصل الكلمة الستر))[١٧]، ويقال في اللغة لَبَسَ عليه الأمرُ لبساً خلطه عليه حتى لا يعرف حقيقتهُ[١٨]، لقوله تعالى ((وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ...)) (البقرة /٤٢) وقد نقل أبو حيان أقوالاً كثيرة تذهب بنا إلى هذا المعنى لمقصدهم الخطير ومنها قال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عربية وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به في آخر

النهار وقولوا : إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس كذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شكَّ أصحابه في دينهم وقالوا هم أهل الكتاب فهم أعلم منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم))[١٩]، وفي التفسير الكبير يذكر الرازي الفائدة من إخبار الله سبحانه وتعالى عن تواضع اليهود على هذه الحيلة من وجوه: ((الأول: إن هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم وما أطلعوا عليها أحداً من الأجانب فلما أخبر الرسول عنها كان ذلك إخباراً عن الغيب فيكون معجزاً ، الثاني: أنه تعالى لما أطلع المؤمنين تواطئهم على هذه الحيلة، لم يحصل لهذه الحيلة اثر في قلوب المؤمنين ، ولولا هذا الإعلام لربما أثرت هذه الحيلة في قلب بعض من كان في إيمانه ضعف . الثالث : أن القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة صار ذلك رادعاً لهم عن الإقدام على أمثالها من الحيل والتلبيس))[٢٠].

وفي ذلك دليل على أن الفكر اليهودي يحمل حيلاً خبيثة ليرد الناس عن إسلامهم والابتعاد عنهُ فقد تظاهروا باعتناق الإسلام حتى يبينوا للناس أنهم ليسوا متعصبين لدينهم وهم لم يكرهوا الإسلام ومن خلال ذلك يبرهنون للناس أنهم أحرار الفكر وتركوا دينهم وجاءوا إلى الإسلام وعندما وجدوا الإسلام لا يصلح تركوه لعلة فيه لا لعلة فينا[٢١]، وهذا غير صحيح فالله سبحانه قال ((أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)) (المائدة : ٣)، ثم نسير في سياق الآية وما فيها من ألفاظ فنقف عند كلمة (وجه النهار) واختيار هذه اللفظة من غيرها ، فلم يقولوا بداية النهار أو غيرها من الألفاظ التي تحمل المعنى نفسه ، فالوجه في اللغة يحمل عدة معانٍ منها أنه "يأتي بمعنى الأول وهو قوله تعالى ((وجه النهار)) أي أوله وإنما قيل ذلك لأن أول ما يلقاه من الشيء وجهه ولم يقل رأس النهار لأن الوجه والرأس وإن اشتركا في كونهما أول الشيء إلا أن في الوجه زيادة فائدة : وهي أنه به تصح المواجهة ومنه تعرف حقيقة الجملة"[٢٢]. فالإيمان وجه النهار

أضحت نصيحة يهودية مجربة وهي خدعة تتخذ حتى في شتى الصور التي تناسب تطور الملابسات والناس في كل جيل فعمدوا إلى النيل من هذا الدين وإطفاء نوره من خلال تشكيك المسلمين وفتنتهم عن دينهم فكان أيسر السبل إلى ذلك هو النفاق بضاعتهم التي اشتهروا بها فأظهروا الإيمان أول النهار وأبطنوا الكفر وقد ختم سياق الآية بقوله ((لعلهم يرجعون)) .

وقد نقل الطبري في تفسيره ((أن بعضهم كان يقول لبعضهم الآخر أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار واكفروا آخره فإنه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهِ ما تكرهون وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم))[٢٣]، وهذه الآية هي تأكيد لسياق الآية التي سبقتها في بيان رغبة اليهود في إضلال المؤمنين قال تعالى ((**وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**)) (آل عمران : ٦٩)فالآية حملت معنى التمني لأن الفعل ((ودَّ))بمعنى تمنى فتستعمل معه((لو و أن))[٢٤].

وفي الآية دليل واضح على أن اليهود قد يئسوا من تحريف الإسلام كمنهج لكنهم لم ييأسوا من إضلال المسلم كتمنهج فالله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ منهجية الإسلام لقوله تعالى ((**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)) (الحجر : ٩)، لكن المسلم مبتلى وهذا الابتلاء من ضروريات الإيمان حتى يختبر الله تعالى ثباته على الإيمان قال تعالى : ((**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**)) (العنكبوت : ٢) ومع هذا فالله سبحانه كان يحذرنا من خلال آيات القرآن الكريم ويكشف لنا نياتهم المستترة وأهدافهم الخطيرة وأحقادهم على الإسلام والمسلمين لكن في النهاية هم لا يضلون إلا أنفسهم والذي عُبِرَ عنهُ بأسلوب القصر بـ (ما) النافية وأداة الاستثناء (إلاّ) فهم على الدوام ماضون على مواجهتهم في بث الشكوك في المعتقد والثوابت ويبذلون كل جهدٍ ومكرٍ ومكيدةٍ حتى يلبسوا علينا ديننا

متمنين في ذلك زعزعة إيمان المسلمين وإدخال الريبة والشكَّ في قلوبهم من أمر هذا الدين من خلال تلك المكيدة النفاقية.

٣ –الاستهزاء بالقرآن بالاتفاق مع منافقي المدينة :

ذكر الزمخشري في معرض حديثة عن هذا الأسلوب ألنفاقي ((إن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم يستهزئون به، فنُهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون))[٢٥]، قال تعالى ((**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**)) (النساء : ١٤٠) بدأ الآية بالفعل الماضي (نزل) مسبوقاً بحرف التحقيق وقد عطفت جملة ((وقد نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ)) على جملة ((بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ)) (النساء : ١٣٨) تذكيراً للمسلمين بما كانوا عملوا به وهو تأكيد التحذير من مخالطتهم وعلى هذا يكون ضمير الخطاب موجهاً إلى المؤمنين وضمير الغيبة إلى المنافقين[٢٦]، والمراد بالمنزل عليهم في الكتاب ما نزل عليهم في مكة، فقال تعالى في سورة الأنعام ((**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**)) (الآية : ٦٨) "واختار لفظ (نَزَّلَ) ولم يقل ((أنْزَلَ)) لأن القرآن نزلَ مفرقاً منجماً على الوقائع بالتدريج بحسب ما يحتاج إليه العباد في حياتهم أما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة لذلك يُسْتخدم لفظ ((أنْزَلَ)) لأنه يقتضي الإنزال المدفعي"[٢٧]. أما قوله تعالى ((عليكم)) فقد أشار الشعراوي في تفسيره إلى

أنَّ الملحوظ أن الكتاب المنزل من السماء فيه العلو ولمصلحة الأمة وهنا العلية تزيد مقام المنهج بالنسبة للمؤمنين فهو قد نزل لمصلحتهم، فمتى كان المقام مقام المنهج بالنسبة للمؤمنين فهو قد نزل لمصلحتهم فمتى كان المقام مقام علو يأتي بـ ((على)) وإذا كان المقام مقام غاية يأتي بـ ((إلى))[٢٨]، أما الحرف ((أنْ)) فقد اختلف فيه فمنهم من قال : أنها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وتقديره أنه إذا سمعتم وخبرها الجملة من إذا وجوابها))[٢٩]،ومنهم من قال أنها تفسيرية لأن ((نَزَّلَ)) تضمن معنى الكلام دون حروف القول إذ لم يقصد حكاية لفظ ((ما نَزَّل)) بل حاصل معناه[٣٠] ، وبذلك انطبقت عليها الشروط التي تكون فيها (أنَّ) مفسرة والتي أشار إليها بعض النحاة ومنهم الزمخشري الذي قال ((أن المفسرة: فلا تأتي الا بعد فعلٍ في معنى القول كقولك: ناديته أن قم وأمرته أن أُقعد وكتبت إليه أن أرجع))[٣١]. وعلى هذا القول تكون الجملة التي تسبق (أن) المفسرة فيها القول يعلم ويوجد أي يرى بها القول بحيث تكشف وتوضح (أنْ) وما بعدها حقيقة ما قبلها فهي كاشفة لحقيقة ما تليه وقد تلا (أنْ) في الآية (إذا) الظرفية المتضمنة معنى الشرط وبعدها فعل الشرط الماضي ((سمعتم)) ومن ثَمَّ جواب الشرط المقترن بالفاء ((فلا تقعدوا)) . ويستمر الحديث في غمار الآية الكريمة حتى إذا وصلنا إلى لفظة ((تقعدوا)) فلم يقل عز وجل ((تجلسوا)) فالقعود فيه طول مكث ولبث بخلاف الجلوس ففيه قصر لهذا يقال أرسى قواعد البيت ولا يقال جوالس البيت ويقال أيضاً: جليس الملك، ولا يقال: قعيده فالقائم يقال له أقعد والنائم والساجد يقال له اجلس والعلة في ذلك أنَّ القعود: هو الانتقال من علو إلى سفلٍ والجلوس انتقال من سفلٍ إلى علوٍ[٣٢]، لهذا قال الشاعر :

أعزُّ مكانٍ في الدنى سرجُ سابحٍ

وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ[٣٣]

فالله سبحانه وتعالى حذر المؤمنين من أن يجالسوا المنافقين فالسماع لهم شر، وكما يقال ((أول الشر سماع الشر)) وهذا الاستهزاء ليس بجديد بل هو امتداد لما كان يقوم به المشركون في مكة بالاستهزاء بالقرآن فنهى الله تعالى المسلمين عن القعود معهم وعندما قدموا المدينة كانوا يجلسون مع اليهود والمنافقين وكان اليهود يستهزئون بالقرآن، فقُصِرَ النهي في هذه الآية على المجالس التي يكفر ويستهزأ فيها بآيات الله، وهذا لا يشمل كل علاقات المسلمين بهؤلاء المنافقين[٣٤]. والذي يستدل من هذه الآية أنَّ الناسي غير مكلف لكن إذا ذكر عاد إليه التكليف ولا يحسب عليه ما قد ارتكبه حال نسيانه فيعفى لقوله ﷺ ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))[٣٥]، وفي هذا يقول ابن كثير ((فإن جلسَ أحدٌ معهم ناسياً فلا تقعدْ بعد التذكر مع القوم الظالمين فإذا جلستم معهم وأقررتموهم على ذلك من الكفر والاستهزاء فقد ساويتموهم فيما هم فيه ، فالذي يلفت النظر وما يجدر التنويه به في هذه الآية أمران :-

الأول : أن دور اليهود التأمري والاستهزائي هو دور المعلم والملقن ودور غيرهم الآخرين هو دور المتعلم والمستقبل .

الثاني : جمع اليهود والوثنيين في فئة الكفر والكافرين في نص الآية وإلى مصير واحد وهو جهنم، فقد اتخذوهم في الدنيا أولياء من دون الله لهذا توعدهم الله سبحانه بالجمع بينهم في الآخرة))[٣٦]، قال ﷺ ((المرء مع من أحب))[٣٧].

٤ – إعلان الإيمان والنهي عنه معاً :

وهو أسلوب نفاقي عند اليهود وغيرهم ، وقد كشف سبحانه وتعالى موقفهم الخفي المنافق مع موقفهم المعلن بقوله ((**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**))

(البقرة : ٧٦) وهنا صورة جديدة من صور النفاق تتجلي في إعلان اليهود إيمانهم باللسان ثم عودتهم عن ذلك الإيمان المعلن حين يخلون إلى شياطينهم (زعمائهم) من المنافقين، فنجد أن في كل جزء من جزيئات هذه الآية قطعية فـ (إذا) فيها إيماء الى الجزم والتعمد والقصد أي: أنهم عزموا بعمد وقصد ملاقاة المؤمنين أما لفظ ((لقوا)) فقد قيل أنه يعني المصادفة في الطرق ربما بلا تعمد بين ظهراني الناس أي رؤية المؤمنين واللقاء يكون عابراً وسريعاً ، فجاء لقاء المؤمنين في جملة فعلية ليفيد الحدوث الخاطف وهذا يتناسب مع موقفهم من الإيمان الذي يتظاهرون به أمام المؤمنين، أما لفظ ((الذين آمنوا)) بدل المؤمنين إشارة إلى مباشرتهم معهم وتماسهم بهم والى أنَّ ارتباطهم معهم بصفة الإيمان، والى مدار النظر بين أوصاف المؤمنين صفة الإيمان فقط، ولفظ ((قالوا)) فيه تلويح إلى أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وأن قولهم هذا هو للتصنع والرياء ودفع التهمة أو حرصاً على جلب المنفعة من المؤمنين والإطلاع على أسرارهم، ثم أعقبه بقوله ((آمنا)) إشارة الى أن ليس في قلوبهم مشوق وعشق محرك ليتشددوا ويتجلدوا في كلامهم[٣٨]. وقد أشار ابن عاشور إلى ((أن من نكت القرآن المغفول عنها تقييد هذا الفعل بالظرف فالمقتضى من تقديم الظرف على جملة ((قالوا ...)) لأنه أهم إذ هو محل التعجب من حالهم ونكت الإعجاز لا تتناهى))[٣٩] . فكان القصد هنا وصف ما كانوا يعملون مع المؤمنين وإيهامهم أنهم منهم ولقائهم بوجوه الصادقين وقد جاء في اللسان؛ "أن اللقاء يكون في الخير والشرِّ لكنه في الشر أكثر لذلك عبر بلفظة (لقى).[٤٠] ويستمر الحديث في ما ورد من سياق الآية فإذا وصلنا إلى قوله سبحانه ((وإذا خلوا ..)) وجدنا في ((إذا)) الجزمية رمزاً إلى أنهم بحكم الفساد والإفساد حيث يرون الالتجاء وظيفة ضرورية، وفي ((خلو)) إشارة إلى أنهم بحكم الخيانة يتخوفون وبحكم الخوف يتسترون وقد

تضمن الفعل ((خلا)) معنى ((خَلُصَ)) فخلوة المنافقين هي بمثابة خلوصهم إلى شياطينهم عند رجوعهم وإيابهم إلى كبارهم وقد يكون الفعل ((خلا)) قد تضمن معنى ارتاح إليه وسكن، فعند رجوعهم وإياب بعضهم الى البعض الآخر يجدون السكينة والطمأنينة والارتياح وهذا المعنى الذي تضمنه الفعل ((خلا)) هو الأقرب إلى سياق الآية، لأن في خلوتهم بعضهم إلى بعض من وسائل الكيد والفتنة ما يحذرنا الله منها حين يكشفها لنا فهو كفرٌ في قالب نفاقٍ[٤١]، وحرف الجر ((إلى)) تضمن معنى ((مع)) وفي ذلك يتبين لنا ويؤكد عجز وضعف اليهود، لذلك يلتجيء بعضهم إلى بعض وهنا يقول زعماؤهم : لا تحدثوهم بالذي علمتم وعرفتم به في التوراة من بشارات محمد ﷺ، وقد سُبِقَت لفظة ((تحدثونهم)) بالهمزة التي هي للإنكار أو التقرير أو التوبيخ[٤٢]، ولفظة ((فَتَحَ)) جاءت بمعنى اعلمه ووقفه عليه[٤٣]، وفقاً لما بينهُ الله لكم في التوراة من صفة محمد ﷺ، وفي قوله تعالى ((ليحاجوكم بهِ)) ذكر ابن عاشور أن اللام للتعليل لكنها مستعملة في التعقيب مجازاً أو ترشيحاً لاستعمال الاستفهام في الإنكار أو التقرير مجازاً، فإنه لما كان الاستفهام الموضوع لطلب العلم استعمل هنا في الإنكار أو التقرير مجازاً لأن المقر به مما ينكر بداهة وكانت المحاجة به عند الله فرعاً عن التحديث بما فتح الله، عليهم جَعلَ فرع وقوع التحديث المنكر كأنه علة مسؤولة عنها أي: لكان فعلكم هذا معللاً بأن يحاجوكم وهو غاية في الإنكار إذ كيف يسعى أحدٌ في إيجاد شيء تقوم به عليه الحجة ، فالقرينة هي كون المقام للإنكار لا للاستفهام ولذلك كانت اللام ترشيحاً متميزاً به أيضاً[٤٤]، وجاءت شبه الجملة الظرفية ((عند ربكم)) بمعنى: حكم ربكم، حيث جاء في التفسير الكبير : ((قال القفَّال: يقال عندي عالِمٌ أي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي حلالٌ وعند أبي حنيفة حرام، أي في حكمهما وعليه قوله تعالى ((ليحاجوكم به عند ربكم)) أي لتصيروا محجوجين

بتلك الدلائل في حكم الله))[٤٥]، وقد يكون المراد بمعنى ((عند ربكم)) يوم القيامة، لان تحريفهم للتوراة وإخفائهم الحقائق الواردة فيها عن النبي ﷺ في ذلك اليوم سوف تكشف الحقائق فهي مسجلة في كتاب لا يغادر صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها حتى أن بعض أهل التأويل فسر ((عند)) بمعنى الكتاب قياساً لحال اليهود على حال عقائد الإسلام[٤٦]، وبما أن السياق في الآية سياق إنكار فالقول غير مناسب في العقل بقول صاحب البرهان في ختم هذه الآية بقوله ((أفلا تعقلون)) : ((المناسبة فيه قوية لأنَّ من دلَّ عدوه على عورة نفسه وأعطاه سلاحه ليقتله به فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل فلهذا ختمها بقوله ((أفلا تعقلون)) وهذه الفاصلة لا تقع إلا لفعلٍ غير مناسب في العقل، نحو قوله تعالى ((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)) لأن فاعلَ غيرِ المناسب ليسَ بعاقل[٤٧]. وهذه الآية تعتبر من النصوص التي ربت المسلمين على معرفة كيد أهل الكتاب للإسلام والمسلمين، وفي الآية دليل على أن الكفر يقبل الزيادة والنقصان وهذا ما يكون أيضاً في الإيمان لأن الكفر والإيمان متنافيان فما وقع على أحدهما من تفاوت يقع على الآخر .

٥ – الإخلاص والاصطفاف للمسلمين لإيهامهم :

كان بعض اليهود يوهمون بعض المسلمين بمصافاتهم والإخلاص لهم وهم من ذلك براء، لذلك نهى الله سبحانه عن اتخاذ اليهود وغيرهم ((بِطانة)) قال تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)) (آل عمران : ١١٨) وقد ذكر الواحدي في سبب نزول هذه الآية ((قال ابن عباس ومجاهد : نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين، ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع، فانزل الله تعالى هذه الآية

ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم[٤٨]. وقد بدأ عز وجل بنداء المؤمنين ونهيهم باستخدام ((لا)) الناهية الجازمة للفعل المضارع فهي تخلصهُ للاستقبال[٤٩]، ليكون هذا النهي مستمراً إلى قيام الساعة فلا يجوز الانخداع بما يظهره الكفار من صداقة وإخلاص فهم أعداء لا ترجى مودتهم وما يتظاهرون به من صداقة ونصح فإنما هو لأغراض في أنفسهم ولمصالحهم الخاصة وللمكر والوقيعة بالمسلمين، فهم كالأفعى ينخدع الجاهل برقتها ونعومتها لكن السم في فمها وهذا لسان حال المنافقين في التفاعل مع المسلمين وقد عبر بلفظ "البطانة" ، (وهي استعارة شبه فيها خواص الرجل بالبطانة لملازمتهم له ملازمة الثوب للجسم)[٥٠]. فالمسلم عندما يختار من يطلع على أمره، يجب عليه أن يتخذ من أهل التقوى وأهل الأمانة من يخشى الله قال النبي ﷺ: ((ما بعث الله نبياً ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم اللهُ))[٥١]. ويذكر القرطبي في تفسيره: ((أكد الله تعالى الزجر عن الركون إلى الكفار وهو متصل بما سبق من قوله ((إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)) (آل عمران : ١٠٠)، وقد نهى الله عز وجل في قوله ((لا تتخذوا)) أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء و ولجاء يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم، فيقال: كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه))[٥٢]، ثم عبر عن تقصيرهم بلفظة ((يألونكم)) وقد تضمن معنى المنع أو النقص، وهذا يدل على أنهم لا يمنعوكم شراً ولا فساداً المعبر عنه بلفظ ((خبال)) فهو من أشد الأمراض التي توثر في العقل[٥٣]، ليتناسب ذلك مع ما ختمت به الآية قوله ((إن كنتم تعقلون)) وقد ذكر النحاس : ((أن قوله تعالى "ودوا ما عنتم" أي ما شقَّ عليكم واشتد))[٥٤]، أي أنهم تمنوا أن تقعوا في أمر يخاف من الهلاك والتلف والضرر الذي يمكن أن يلحق بكم فهو لا يمنعوكم عنه ، وقد أكد سبحانه

وتعالى بجملة " قد بدت البغضاء من أفواههم " حقيقة النفوس الحاقدة الماكرة وهي تحمل البغضاء فلذلك حذف حرف العطف منها وهو ((الواو)) والتقدير: وقد بدت البغضاء وكأنها جملة قولٍ مستقلة بنفسها وهذا الحذف جعل الكلام أوجز وأحسن طلاوة وأبلغ تأليفاً ونظماً))[٥٥] .

فحينما يتعامل المسلم مع الناس فيجب أن يكون تعامله على أساس العدل والاحترام المتبادل دون أن يكون ذلك على حساب الاستهانة بالعقيدة الإسلامية وشعائر الإسلام فالمعاملة شيء ومحبة القلب ومودة الكفارِ شيءٌ آخر، فالإنسان يتعامل في أغلب الأحوال مع من يحب ومن لا يحب في بيعه وشرائه ونحو ذلك، أما مودة القلب والنصرة والمساعدة، فلا يمنحها إلا لمن يحب، لذلك يجب أن تعطى هذه المودة لمن يستحقها ممن هم في منزلتهم وليس لمن هم أدنى منزلة في الديانة والقرابة، فنجعلهم أمناء على أسرارنا ومصالحنا وهم لنا أعداء، والآية بكل ألفاظها تمثل التصوير الشامل الخالد الذي لا يزال مصداقه يُرى في كل وقت وفي كل بقعة من الأرض، وقد رسمها القرآن الكريم رسماً حياً يجب أن لا يغفل عنه أحدٌ من أهل القرآن، فبغفلتنا أصابنا الذل والمهانة والأذى، جاء في ظلال القرآن ((هذا التنوير وهذا التحذير لا يكون مقصوراً على فترة تاريخية معينة فهو حقيقة دائمة تواجه واقفاً دائماً كما نرى مصداق هذا فيما بين أيدينا من حاضر مكشوف مشهود))[٥٦].

٦ – التردد بين الكفر والإيمان :

النفاق من أقوى الدوافع إلى الردة والتقلب بين الإيمان والكفر ، فكانوا يظهرون الإيمان ببعض الأنبياء ويكفرون ببعضهم الآخر، وحيثما وجد في النفاق مصلحة خاصة ونفعاً آنياً فإن صاحبه اليهودي لا يتردد بين أن يكون مؤمناً فترة ثم يصير إلى الكفر في فترة أخرى وهكذا قال تعالى: ((**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ**

ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً)) (النساء : ١٣٧)، اذ بدأ سبحانه وتعالى خطابه بالحرف ((إنَّ)) الدال على التوكيد ليحذرنا من كل من يتردد في إيمانه وكفره تحقيقاً لمصالح الغرض منها تحقيق الغايات والمصالح فجاء التعبير بأسلوب العطف الذي يفيد الترتيب بمهلة من خلال الحرف (ثمَّ) قال ألمرادي ((فإذا قلت: قام زيد ثم عمرو)) آذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة وهذا مذهب الجمهور))[٥٧]، فالله سبحانه وتعالى عندما بعث الأنبياء بدأ بسيدنا آدم وانتهاءً بسيدنا محمد ﷺ لأجل إبلاغ دعوته إلى الناس للإيمان بالله وحده وقد ختم هذا الإبلاغ بالإسلام الذي جاء بالنهاية الخاتمة يقول الشعراوي في تفسيره ((الإسلام جاء بالنهاية الخاتمة وليس للسماء من بعد ذلك استدراك وليس لأحد بعد ذلك استدراك ولذلك قال في أول الآية ((آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ)) وقال في آخر الآية ((ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا)) أي أنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وليس هناك مجال أن ينتظروا رسولاً آخر لينسخوا كفرهم بمحمد ويؤمنوا بالرسول الجديد))[٥٨]، لذلك نلاحظ أن هذا التكرار المرتب المتواصل في الآية يعبر بأسلوب فني عن التقطيع من خلال ترددهم بين الإيمان والكفر وبالنهاية فهم يؤثرون الكفر على الإيمان في عاقبة أمرهم في الحياة الدنيا وهذا ما كان يقترفه المنافقون من التذبذب بين الإيمان والكفر[٥٩]، فالذي يدخل في الإسلام يجب أن يحسن إسلامه كي لا يؤاخذ بما سبق فعندما سئل الرسول ﷺ ((أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية ؟ قال : من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أُخذَ بالأول والآخر))[٦٠]، أما الآلوسي فقال: ((لم يرد على هذا قوم بأعيانهم بل الجنس ويحصل التبكيت على اليهود الموجودين باعتبار عد ما صدر من بعضهم كأنه من كلهم والذي يميل القلب إليه؛ أن المراد قوم تكرر منهم الارتداد أعم من أن يكونوا منافقين أو غيرهم ويؤيده ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال في المرتد: إن كنت لمستتيبهُ ثلاثاً ثم قرأ هذه الآية والى رأي

الإمام علي كرم الله تعالى وجهه ذهب بعض الأئمة فقال: يقتل المرتد في الرابعة ولا يستتاب))[٦١]، ونبقى في غمار الحديث عن موضوع هذه الآية حتى إذا وصلنا إلى قوله ((لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً)) فقد جاء في تفسير ابن عاشور أن النفي في (لم يكن) أبلغ من لا يغفر الله لهم لأن أصل وضع هذه الصيغة للدلالة على أن اسم كان لم يُجعل ليصدُرَ منهُ خبرها ولا شك أنَّ الشيء الذي يُجعل لشيءٍ يكون نابياً عنه لأنه ضد طبعه[٦٢]، وقد ورد الفعل (يكن) منفياً بـ (لم) غير مقترنة بـ (الفاء) أما قوله تعالى ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**)) (محمد : ٣٤) وهذا دليل على أن الأسلوب في آية النساء أكثر توكيداً من آية محمد وخاصة وقوع اللام في (ليغفر) لهو دليل على أن اللام لام الجحود، ولام الجحود تفيد النفي المؤكد وقد حدها النحاة "هي التي تقع بعد ما كان أو لم يكن وكلاهما نفي"[٦٣]، أما الآية الثانية من سورة محمد، فقد سبق حرف النفي بـ (الفاء) لأن مصيرهم انتهى بالموت (ثم ماتوا) بينما قال في النساء (ثم ازدادوا) يقول أبو حيان : ((الفرق بين ؛ لم يكن زيد يقوم ، وبين ؛ لم يكن زيد ليقوم ، الأول ليس فيه إلا انتفاء القيام، والثاني فيه انتفاء الإرادة والإيتاء للقيام ويلزم من انتفاء إرادة القيام نفي القيام))[٦٤] وقد عطفت جملة ((ولا ليهديهم)) على جملة ((ليغفر)) وفي ((ولا ليهديهم)) سبق الفعل المضارع بـ (لا) النافية وهذا ((يدل على أنَّ عدم غفرانه لهم لعدم توفيقهم للتوبة والهدى))[٦٥]. ولربَّ ما يسأل السائل فيقول: لماذا قال في هذه الآية ((ليهديهم سبيلاً)) في حين قال في موضع آخر من سورة النساء ((ليهديهم طريقاً)) (النساء : ٦٨) يقول السيوطي في الإتقان ((السبيل أغلب وقوعاً في الخير ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقروناً بوصفٍ أو إضافة تخلصه إلى ذلك))[٦٦]، فالسبيل يدل على الطريق التي فيها سهولة ويسر وهو الطريق التي

يتوصل بها إلى الشيء خيراً كان أو شراً يضاف إلى ذلك أن السبيل لا يطرق بالأرجل ولا يُمشى به[٦٧]، قال تعالى ((وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)) (الأنعام : ٥٥) وقال تعالى ((طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ)) (طه : ٧٧) .

٧ – اظهار الايمان وإبطان العداوة والكفر :

وهذا الأسلوب يعبر عن حقيقة النفاق بمعناه الشرعي وهو واضح جداً في قوله تعالى:((**وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوٓاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ**)) (المائدة : ٦١) ، فقد ذكر الزمخشري أن هذه الآية " نزلت في ناس من اليهود وكانوا يدخلون على رسول الله ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً فاخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك، ولمعنى آخر وهو أن إمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله ﷺ متوقعاً لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله (قالوا آمنا) أي قالوا ذلك وهذه حالهم "[٦٨]، فعندما كانوا يدخلون على النبي ﷺ يظهرون له الإيمان بما جاء به نفاقاً ويخرجون من عنده ﷺ متلبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك فهم قد جمعوا صفتين كلٌ منها أسوأ من الأخرى: نفاق القول مع إسرار الكفر في حركة دائبة من الدخول والخروج ليقنعوا الرسول وصحبه بإسلامهم وسلامة مقصدهم في الوقت الذي يمكنهم الاطلاع على شيء من أخبارهم، وأخبار المسلمين التي يتداو لونها فيما بينهم، والصفة الأخرى وهي أشد وأنكى من الصفة السابقة، فهم على طول ترددهم على مجالس الرسول ﷺ فإنهم لم ينتفعوا بشيء مما كانوا يسمعونه من الحكمة والموعظة بل دخلوا كافرين وخرجوا كافرين[٦٩] فحالهم واحد في الدخول والخروج يقول الطبري: ((قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم ويضمرونه في صدورهم وهم يبدون كذباً التصديق

لكم بألسنتهم وقد خرجوا بالكفر من عندكم كما دخلوا به عليكم لم يرجعوا بمجيئهم إليكم عن كفرهم وضلالتهم يظنون أن ذلك من فعلهم يخفى على الله جهلاً منهم بالله))[٧٠] وقد استخدمت في الآية ألفاظ ناسبت المعنى الذي تحمله فعند الوقوف على لفظة ((جاؤوكم))، عبر القرآن بالفعل (جاء) ولم يقل (أتى) لأن "جاء" يقال في الجواهر والأعيان و"اتى" في المعاني والأزمان لهذا ورد (جاء) في قوله تعالى ((ولمن جاء به حمل بعير)) و ((وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)) و ((أتى أمر الله))[٧١]، يضاف إلى ذلك أن استعمال الفعل (جاء) يدل على تمام الكلام ولا يحتاج إلى صلة أما استعمال (أتى) فانه يقتضي مجيؤه بشيء فعلى ذلك يقال : جاء فلان نفسه ولا يقال: أتى فلان نفسه[٧٢]، وقد ذكرتُ في الأسلوب الرابع من هذا البحث أنه قد استعمل الفعل ((لقي)) فقال:((اذا لقوا الذين آمنوا)) لأنه ذلك الأسلوب يكون على سبيل السرعة والذي يتناسب مع الإيمان الذي يتظاهرون به أمام المؤمنين وليس الرسول ﷺ أما في هذه الآية قال تعالى ((إذا جاءوكم)) ليتناسب مع الإيمان الذي يتظاهرون به أمام الرسول وليس أي شخص عادي، ويشير الجرجاني إلى أن قولهم ((آمنا)) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به فالموضع موضع تكذيب))[٧٣]، وقد اختلف بموضع الباء في قوله ((وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به)) فذهب بعضهم إلى أنها في موضع نصب على الحال لأن المعنى: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لأنه لا يريد أنهم دخلوا يحملون شيئاً وهو كقولك خرج بثيابه يريد انه خرج لابساً ثيابه[٧٤]، وذهب بعضهم إلى أن الباء للمصاحبة أي معه[٧٥]، والذي يتضح لي أنَّ الرأي بأنَّ الباء في موضع الحال هو الأرجح فالفعلان الماضيان (دخل) و (خرج) قد سبقا بـ (قد) وهو ما قربها من الحال، وهذا معروف بالنسبة لحرف التحقيق عند دخوله على الفعل الماضي وقد ختمت الآية بلفظة ((يكتمون)) ولم يقل ((يخفون)) لأن في

مجيئهم أمرا معنوياً وليس مادياً محسوساً، يقول أبو هلال العسكري: ((الكتمان: هو السكوت عن المعنى أما الإخفاء فيكون في ذلك وفي غيره والشاهد أنك تقول: أخفيت الدرهم في الثوب ولا تقول كتمت ذلك وتقول كتمت المعنى وأخفيته فالإخفاء أعم من الكتمان والكتم يختص بالمعاني كالأسرار والأخبار لأن الكتمان لا يستعمل الا فيهما))٧٧ ، وقد أشار سبحانه وتعالى في الآية التي بعدها إلى مسارعة اليهود في الإثم والعدوان بدلاً من المسارعة في البر والتقوى والإسلام فالمسارعة تكون دائماً في الخير لكن استخدامها القرآن في الشر وهذا الاستعمال سر من أسرار البيان القرآني وبه فائدة وهي: أن قدومهم إلى المنكرات كأنهُ قدوم إلى الخيرات في اعتقادهم ونظرهم فناسب التعبير بذلك الحال الذي هم عليه والمفهوم المترسخ لديهم فقال تعالى: ((وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (المائدة : ٦٢) وهذا الإسراع يعبر عن مظهر النفاق والغلظة في القلوب وقسوتها .

الخاتمة

في نهاية المطاف وبعد أنْ آن للقلم أن يحط رحاله لا بد لي أن أفتح الباب بالتذكير لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الغوص في بحر القرآن الكريم المملوء بالدرر حتى التقطت جزءاً من هذه الدرر وإليك أيها القارئ الكريم أهم النتائج في هذا البحث وهي :

١-التنوع في اسلوب النفاق لدى اليهود، لم يكن حديث الولادة فهو مستقر منذ القدم حتى عصرنا الحاضر لكن حدته زادت بعد مجيء الإسلام .

٢-اتخاذهم ما يسمى بـ ((حرب الأعصاب)) وجعل المسلم في حيرة من أمره مما يؤدي إلى الاضطراب والفتنة في قلبه حاصلة لا محالة .

٣-اعتقاد اليهود أن العدل في قضيتهم، فيحاولون أن ينفوا التهمة عنهم وجعل العقوبة تلحق بخصمه من خلال زعمه .

٤-حاول اليهود زرع الشك عند المسلمين بدينهم من خلال خلط الحق بالباطل وعدم إظهار الحق الذي يعرفونه من خلال كتبهم فيعتنق اليهودي الإسلام تظاهراً لكي يبين للناس أنه ليس متعصب لدينه .

٥-الاستهزاء بآيات القرآن الكريم والتآمر مع المنافقين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا حذرنا القرآن من مخالطتهم وعدم القعود معهم لأنهم يحاولون تعليم وتلقين من يجلس معهم وكسب حبه لهم .

٦-يعلن اليهود إسلامهم أمام المؤمنين ويرتدون عنه عند الرجوع الى زعمائهم لذلك فهو في حكم المرتد فكيف نأمن ونصدق من هو مرتد .

٧-يتمنى اليهود أن يقع المؤمنون في الهلاك فهو لا يمنعه عنهم ، فهم يحملون الحقد والبغضاء والمكر لهذا يجب أن يتعامل المسلم مع هؤلاء على أساس الاحترام المتبادل وليس على حساب الاستهانة بعقيدته الإسلامية لأن المحبة شيء والتعامل شيء آخر .

٨-الله سبحانه وتعالى كان لليهود بالمرصاد في جميع محاولاتهم وقد بينت الآيات القرآنية ذلك وفي سائر الأوقات ومن أروع تلك الآيات التي خوف بها سبحانه اليهود فقال : ((أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)) (البقرة : ٧٧) فالمسلم الحقيقي يجب أن لا تنطلي عليه مثل هذه الأساليب الماكرة بعد أن خبرنا عن أحوالهم وتأريخهم في الماضي والحاضر وبعد أن مارس اليهود طرق النفاق الملتوية كما أوضحها القرآن الحكيم لذلك أدعو نفسي وكل مسلم أن يقف مع القرآن الكريم موقف المتدبر المتفكر والله الموفق إلى سواء السبيل .

ABSTRACT

The Jewish ways of Hypocisy in the Holy Quran

(Studying)

Key words: hypocrisy, Jews, Qur'an

Dr. Ibrahim – M – Mosleh

Directorate of Education in AL-Anbar

This research aims to explain the diverse deceit of Jewish's ways which has found in holy Quran ,Many writers had written in this subject not only about language's sides.

In This research I want to display the kinds of the ways into holy Quran in many scenes. The Muslims were not knowing The deceit of Jewish , therefore ; their dangerous would be more activity, The deceit was found in all reigns of humanity until it became the adjective of them . The kinds of the ways are continuing at this reign .

الهوامش

(١) ينظر: النفاق والمنافقون ابراهيم علي سالم ، دار الشعب – مصر – ط١ ، ١٩٧٧ : ص ٦٧ .

(٢) ينظر : الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، د. صلاح عبد الفتاح ، دار القلم– دمشق، ط١ ١٤١١هـ:ص١٩٤ .

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،للتهانوي، ت: د.علي دحروج ، مكتبة لبنان– بيروت،ط١، ١٩٩٦ ، ١٦٥٣/٢ ، التعريفات ، للشريف الجرجاني،ت:جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية–بيروت،ط١ ،ص٢٤٥ .

(٤) اليهود في القرآن محمدعزة دروزة ، المكتب الاسلامي–دمشق،ط١ ، ١٩٤٩ ، ص٦٠ ، ينظر : السيرة النبوية لإبن هشام ، ت:مصطفى السقا ،وابراهيم الابياري ،مطبعة البابي الحلبي–مصر،ط٢ ،١٩٥٥ ، ١٠٦/٢ .

(٥) ينظر : الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، د.حسن ظاظا، دار القلم–دمشق ،ط٤ ، ص ١٢٩ .

(٦) ينظر : تفسير الخطيب المكي ، عبد الحميد الخطيب ، السعودية ، ط٢ –١٩٥٧ : ٨٧/١ .

(٧) بدر الكبرى ، عطية محمد سالم ، الجامعة الاسلامية –المدينة المنورة ١٣٩١–١٩٧١ : ص ٣٨ – ٣٩ .

(٨) أسباب نزول القرآن ، للواحدي ، ت: عصام عبد المحسن الحميدان ،دار الاصلاح– الدمام،١٩٩٢ : ص ١٦٢ .

(٩) ينظر : البحر المحيط ، لابي حيان ،ت:صدقي محمد جميل ، دار الفكر-بيروت ، ١٤٢٠هـ : ٦٨٨/٣ ، ينظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ،ت:د.عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث- القاهرة ،٢٠٠٥م : ٥٥/٢ .

(١٠) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك،ت: محمد محي الدين عبدالحميد، دار التراث-القاهرة،ط٢٠، ١٩٨٠م: ٢٩/٢ .

(١١) لسان العرب ، لإبن منظور ،ت:عبدالله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف- القاهرة : ١٨٣٤/٣.

(١٢)ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، للحسن بن محمد النيسابوري ،ت: زكريا عميران ، دار الكتب العلمية-بيروت ط١ ،١٩٩٦م : ٤٣٦/٢ ، ينظر : بيان المعاني ، عبدالقادر ملا حويش ، ومحمود آل غازي العاني،ط١ : ٥٧٠/٥.

(١٣)الأضداد، للسجستاني ،ت:د.محمد عوده ابو جُرَي ، مكتبة الثقافة الدينية-مصر ، ١٤١٤هـ : ١٧٣.

(١٤)ينظر : أسباب نزول القرآن /١٦٢.

(١٥) ينظر معاني القرآن ، للنحاس ،ت:محمد علي الصابوني ، جامعة ام القرى-مكة ، ط١، ١٤٠٩هـ : ١٢٥/٢.

(١٦)إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، لابي السعود العمادي ، دار احياء التراث العربي- بيروت : ١٩٤/٢.

(١٧)معجم الفروق اللغوية،لابي هلال العسكري ،ت:الشيخ بيت الله بيات،مؤسسة النشرالاسلامي-قم ،ط١-١٤١٢ ص٣٠٢ .

(١٨)المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة : ٨١٩/٢.

(١٩)البحر المحيط في التفسير ٢١٠/٢ .

(٢٠)تفسير مفاتيح الغيب -التفسير الكبير ، للرازي ، دار احياء التراث العربي-بيروت ،ط٣ ، ١٤٢٠هـ : ٨٨ .

(٢١)ينظر : نحو تفسير موضوعي ، محمد الغزالي ، دار نهضة مصر، ط١ : ٢٧ .

(٢٢)الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري ،ت:محمدعثمان ،مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة ،ط١ ،٢٠٠٧م : ٤٩٥ .

(٢٣)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، دار هجر ،ط١ ،١٤٢٢هـ : ٥ / ٤٩٥ .

(٢٤) ينظر : اعراب القرآن ، لإبن سيدة ، ت:خليل ابراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي-بيروت ،ط١ ، ١٩٩٦م : ٧٤/٣.

(٢٥) الكشاف ، للزمخشري ، دار الكتاب العربي–بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ : ٥٧٢/١ .
(٢٦) ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، الدار التونسية للنشر–تونس، ١٩٨٤م : ٢٣٤/٥ .
(٢٧) ينظر: تفسير ابن كثير ، ت:محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية–بيروت ، ط١ ١٤١٩هـ : ٣٨٤/٢ ، وينظر: روح المعاني ، للالوسي ،ت:علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية–بيروت ،ط١ ،١٤١٥هـ : ٧٥/٢ .
(٢٨) تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، مطابع اخبار اليوم–مصر : ٣ / ١٥٩ .
(٢٩) البحر المحيط ١٠٢/٤ ، وتفسير البيضاوي ، لابي سعيد الشيرازي البيضاوي ،ت:محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي–بيروت ،ط١ ،١٤١٨هـ : ١٠٣/١ .
(٣٠) التحرير والتنوير ٢٣٤/٥–٢٣٥ ، وينظر : الجنى الداني ، للمرادي ،ت: د. فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية– بيروت ، ط١ ،١٩٩٢م : ص٢٣٩ .
(٣١) المفصل في صنعة الإعراب ، للزمخشري ،ت: د.علي بو ملحم،مكتبة الهلال–بيروت ، ط١ ،١٩٩٣م : ص٤٢٨ .
(٣٢) ينظر : الكليات ، للكفوي ، ت: عدنان درويش ومحمد المصري ،مؤسسة الرسالة–بيروت ، ١٤١٩هـ: ص٧٢٨ ، وينظر : الأصلان في علوم القرآن ، د. محمد عبدالمنعم القيعي ،ط٤ ،١٤١٧هـ : ٣٨٧ص .
(٣٣) الأمثال السائرة من شعر المتنبي ، للصاحب بن عباد ، ت:محمد حسين آل ياسين ، مكتبة النهضة–بغداد ، ط١ ، ١٣٨٥هـ:ص ٦٧ .
(٣٤) ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق–بيروت ، ط١٧ ، ١٤١٢هـ : ٧٨١/٢.
(٣٥) شرح صحيح البخاري ، لابن بطال ، ت: ياسر بن ابراهيم ، مكتبة الرشد–الرياض ،ط٢ ،٢٠٠٣م : ٤٧٨/٤ .
(٣٦) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٤٩ .
(٣٧) شرح صحيح البخاري ٩ / ٣٣٢ .
(٣٨) ينظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، لبديع الزمان سعيد النورسي ، ت:احسان قاسم الصالحي ،ط٣ ، ٢٠٠٢م –القاهرة :ص١٠٧ – ١٠٨، وينظر: المشترك اللفظي في الحقل القرآني ، عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة–بيروت ،ط٢ ، ١٤١٧هـ :ص١٦٧ .
(٣٩) التحرير والتنوير ٢٨٣/١.
(٤٠) ينظر : لسان العرب ، لإبن منظور ١٥/ ٢٩٥.
(٤١) ينظر : إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ١٠٨، وينظر : التضمين النحوي في القرآن الكريم،محمد نديم فاضل، دار الزمان–المدينة المنورة ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ص٣٢٥ – ٣٢٦ .

(٤٢)التحرير والتنوير ١/٥٧٠ – ٥٧١ ، وينظر : الجدول في إعراب القرآن ، محمود عبدالرحيم صافي ، دار الرشيد– دمشق ، دار الايمان–بيروت ، ط٤ ، ١٤١٨هـ : ١٦٩/١ .

(٤٣) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني ، ت:صفوان عدنان الداودي ، دار القلم– دمشق ، الدار الشامية– بيروت ، ط١ ،١٤١٢هـ : ص ٦٢١ .

(٤٤) التحرير والتنوير ١/ ٥٧٠ – ٥٧١

(٤٥) تفسير الرازي ٥٦٣/٣.

(٤٦) ينظر : التحرير والتنوير ٥٧١/١.

(٤٧) البرهان في علوم القرآن،للزركشي ، ت: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة–بيروت ،١٣٩١هـ: ٨٣/١ – ٨٤ .

(٤٨) أسباب نزول القرآن / ١٢٠ ، ينظر السيرة النبوية ،لإبن هشام ٥٥٨/١ .

(٤٩) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني / ٣٠٠ .

(٥٠) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر– دمشق، ط٢ ، ١٤١٨هـ : ١٧٨/٤ .

(٥١) شرح صحيح البخاري ٨ / ٢٧٢ .

(٥٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ت: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب–الرياض ، ٢٠٠٣م : ١٧٨/٤ .

(٥٣) ينظر: المفردات / ٢٧٤ ، وينظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، لابي العباس الحسني الانجري ، ت: احمد عبدالله القرشي رسلان ، نشر: د.حسن عباس زكي ، القاهرة –١٤١٩هـ : ٢٩٩/١

(٥٤) معاني القرآن للنحاس / ٤٦٦ .

(٥٥) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الاثير ،ت: احمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار النهضة – مصر : ٢٥٨/٢ .

(٥٦) في ظلال القرآن ، سيد قطب ١/ ٤٥١ – ٤٥٢ .

(٥٧)الجنى الداني في حروف المعاني / ٤٢٦ .

(٥٨) تفسير الشعراوي – الخواطر ٥ / ٢٧٢٠ – ٢٧٢١ .

(٥٩) ينظر : الموسوعة القرآنية المتخصصة ، مجموعة من الاساتذة والعلماء المتخصصين ، مصر : ٤٦١ .

(٦٠) شرح صحيح البخاري ٥٦٩/٨.

(٦١) روح المعاني ١٦٤/٣– ١٦٥ .

(٦٢) التحرير والتنوير ٥ / ٢٣٢ .

٦٣ ينظر : الجنى الداني / ١٠٥ وينظر : النحو المصفى ، محمد عيد ، مكتبة الشباب–للنشر : ٢٦٣

(٦٤) البحر المحيط ١٠٠/٤.

(٦٥) دفع ايهام الإضطراب عن آيات الكتاب ، محمد امين الشنقيطي ، مكتبة ابن تيمية–القاهرة ، ط١، ١٤١٧هـ :٤٧ .

(٦٦) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ت: محمد ابو الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م: ٣٦٤/٢ .

(٦٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٥١٨/١ .

(٦٨) الكشاف ٦٥٣/١ .

(٦٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ٦/ ٢٣٧ .

(٧٠)جامع البيان عن تأويل القرآن ٨ / ٥٤٦ .

(٧١) البرهان في علوم القرآن ٤ / ٨٠ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ / ٣٦٥ .

(٧٢) ينظر : معجم الفروق اللغوية / ١٥٢ص .

(٧٣) دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني،ت: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدينة–القاهرة ، ط٣، ١٤١٣هـ : ١٣٤ .

(٧٤) اعراب القرآن ، لاسماعيل الأصبهاني (قوام السنة) ، تقديم وتوثيق : د.فائزة عمر المؤيد ، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ، ط١ ، ١٩٦٥م : ص ١٠١ .

(٧٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ، ت: د. مازن المبارك،ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر–دمشق، ط٦ ، ١٩٨٥م : ص١٤٠ .

(٧٧) معجم الفروق اللغوية / ٤٤٧ – ٤٤٨ .